



الأخلاق

في الأديان السماوية
السيد أبو ضيف الدنح

دار الشروق

الأخلاق
فدايان السماوية

السيد ابو ضيف المدني

الأخلاق في الأديان السماوية

الطبعة الأولى

١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

جميع حقوق الطبع محفوظة

© دار الشروق

القاهرة: ١٦ شارع جواد خليفي - هاتف: ٧٧٤٨١٤ - ٧٧٤٥٧٨
برقيا: شروق - تليكس: SHROK UN 93091
بيروت: ص.ب: ٨٠٦٤ - هاتف: ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣
برقيا: داشروق - تليكس: SHOROK 20175 LE

دار الشروق

مقدمة

الحديث عن الأخلاق في هذا العصر حديث ممض يشق على النفس ، ذلك أن كثيرا من مشكلاتنا الاجتماعية الراهنة تعود في النهاية بعد تحليلها إلى الأزمة الأخلاقية التي يعانيها عالمنا المعاصر الذي تسود فيه أخلاق الأثرة والأنانية وحب الذات والجري وراء المادة والمكاسب بأية طريقة أو وسيلة مشروعة كانت أو غير مشروعة . وهذا الشعور بالأزمة الخلقية شعور حاد عميق لدى الجميع ، فقد سيطرت علينا مجموعة من القيم الطارئة غزتنا في عقر دارنا ، وتكاد أن تقتلعنا من جذورنا ، الإحساس بروح الأثرة والفردية وعبادة الذات ، وصدارة القيمة الاقتصادية على كل القيم وتفشى الطمع والجشع والشره ، وانتشار الحقد والحسد والكراهية بين الناس ، وانتزاع عاطفة الرحمة والشفقة من القلوب ، وفقدان قيمة العمل ، وقيمة النظام وقيمة النظافة ، كل هذه الظواهر سادت مجتمعنا في ظرف جيل واحد من الزمان ، لقد تغير كل شئ ، وأصبحنا نسمى الأشياء بغير أسمائها الحقيقية ، وأصبحت الفضائل عملة نادرة أثرية ، مكانها المتاحف ودور الآثار ، وليس الواقع المعاش ، وأصبح إنسان هذا



Near
East
BJ1188
M322
1988

العصر- كما يقول الدكتور أحمد عكاشة أستاذ الطب النفسى -
يخوض صراعا شرسا من أجل المادة تتحطم خلاله علاقات إنسانية ،
وتغيب قيم جمالية ، وتهدد مثاليات ، وعندما يتضح له فى النهاية أن
هذا الصراع لن يؤدى به إلى تحقيق ذاته تكون الوحدة قد حاصرتة ،
والاكتئاب تسلل إلى أعماقه ، والرغبة فى الانتحار بدأت تراوده »

وإذن فهو لم يحقق السعادة لنفسه ولا لمجتمعه ، بل أشقى نفسه
وأشقى الآخرين معه ، وماذا حققت المجتمعات التى نصفها بالرقى
والحضارة والمدنية لأهلها غير زخرف ظاهر من الحياة الدنيا ، وقوة
عاتية مدمرة تستخدم للتدمير والإهلاك وتحقيق المطامع الذاتية ؟

إنهم هناك فقدوا طمأنينة النفس وهدوء البال وراحة الضمير ،
لا يذوقون النوم إلا غارارا بعد تعاطى حبوب « الهلوسة » أو أقراص
السعادة أو الهوروين والكوكائين ، وعجزت قوانينهم الوضعية أن
تحقق الحد الأدنى من الطمأنينة على النفس والعرض والمال ، وتأمل
ماحدث عند انقطاع التيار الكهربائى عن مدينة نيويورك لعدة
ساعات قليلة ، لقد حدثت أحداث مروعة من حوادث السلب
والنهب ، وهتك الأعراض ، ألفت فيها الكتب والأبحاث ، ولم
يتوصلوا بدقة إلى الأسباب العلمية التى أدت إلى هذه الموجة العاتية
المتفجرة التى وقعت خلال ساعات بصورة ليس لها مثل ، على أن
معدلات الجريمة عندهم فى ازدياد واضطراب ، إنهم لا يريدون أن

يعرفوا السبب الحقيقى ، لأنهم يعزلون الدين عن واقع حركة الحياة .
هذا هو واقع الحال فى المجتمعات التى يدعو كتابنا « الأحرار » أن
نخذوا جذوها فى كل صغيرة وكبيرة فى حياتنا ، وكأن التطور والتقدم
منوط بهذا التقليد والاحتناء ، ومن أجل هذا يعتمد بعضهم إلى
« غمز » الدين والأخلاق ، وكأن الدين والأخلاق هما سبب تأخرنا
وأخطاطنا .

ولن نملّ هنا من أن نردد أبيات شاعرنا العظيم شوقى رحمه الله
حيث يقول :

وإذا أصيب القوم فى أخلاقهم
فأقم عليهم مأتما وعويلا
وليس بعامر بنيان قوم إذا أخلاقهم كانت خرابا
ويقول :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت
فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا
ونردد قبل كل شئ قول الله تبارك وتعالى : « إن الله لا يغير
مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد
له ، وما لهم من دونه من وال » .

هذا ، وقد تطورت الجرائم الخلقية فى عصرنا هذا تطورا
مفجعا ، وفى كل يوم تمطرنا وسائل الإعلام عن جرائم الاعتداء على

الآباء والأمهات وخطف الإناث والاعتداء عليهن ، واختلاس المال العام ، والاحتكار والغلاء المصطنع ، وشيوع المخدرات والهيوين والكوكائين ، والتطلعات المادية الجامحة ، وانزواء القيم الروحية وتراجعها أمام زحف حضارى زائف لن نجنى منه إلا أوحى العواقب والثرات ، ولعلاج ولادواء إلا بالرجوع إلى الدين وقيم الدين ، وأخلاق الدين ، والله سبحانه وتعالى يهديننا إلى سواء السبيل .

مفاهيم

يقول الإمام الغزالي رضى الله عنه :

الخلق والخلق عبارتان مستعملتان معا ، يقال فلان حسن الخلق والخلق ، أى حسن الظاهر والباطن ، فيراد بالخلق الصورة الظاهرة ، ويراد بالخلق الصورة الباطنة ، وذلك لأن الإنسان مركب من جسد مدرك بالبصر ، ومن روح ونفس مدركة بالبصيرة ، ولكل واحد منهما هيئة وصورة إما قبيحة وإما جميلة ، فالنفس المدركة بالبصيرة أعظم قدرا من الجسد المدرك بالبصر ، ولذلك عظم الله قدره بإضافته إليه ، إذ قال تعالى : « إني خالق بشرا من طين . فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين » فنبه إلى أن الجسد منسوب إلى الطين ، والروح إلى رب العالمين ، والمراد بالروح والنفس في هذا المقام واحد .

فالخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة ، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية ، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا ، سميت تلك الهيئة

خلقا حسنا ، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا .

وإنما قلنا إنها هيئة راسخة لأن من يصدر عنه بذل المال على الندور لحاجة عارضة لا يقال : خلقه السخاء مالم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ ، وإنما اشترطنا أن تصدر منه الأفعال بسهولة من غير روية ، لأن من تكلف بذل المال أو السكوت عند الغضب بجهد وروية لا يقال خلقه السخاء أو الحلم .

وإذا كان المعنى اللغوي للخلق هو السجية والطبع فقد غلب استعماله بمعنى المروءة والدين ، ولهذا يضع القرآن الكريم له وصفا أو إضافة ، أما الإضافة فقد وردت في قوله تعالى « إن هذا إلا خلق الأولين » يعنى دينهم وماهم عليه من الأمر في تقليدهم للآباء والأجداد وتبعيتهم لهم في سلوكهم وعيشتهم ، وجاء موصوفا في قوله تعالى يمدح نبيه - صلى الله عليه وسلم - : « وإنك لعلی خلق عظيم » فُسِّرَ الخلق بالدين العظيم وهو الإسلام ، كما فسر بالأدب العظيم ، وقد سئلت السيدة عائشة رضى الله عنها عن خلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت : كان خلقه القرآن . ومعنى هذا كما يقول ابن كثير - رحمه الله - أنه عليه الصلاة والسلام صار امتثال القرآن أمرا ونهيا سجية له وخلقاً تطبعه وترك طبعه الجبلى ، فهذا أمره القرآن فعله ، ومهما نهاه عنه تركه ، هذا مع ما جبله الله عليه من الخلق

العظيم ، من الحياء والكرم والشجاعة والصفح والحلم وكل خلق جميل . ومن هذا يتبين لنا أن الخلق أو الطبع فطرة فطر عليها الإنسان ، وأن التخلق والتطبع هو الخلق المكتسب بريضة النفس وأخذها بالسلوك الأخلاقى .

وزعم بعض الفلاسفة أن الأخلاق لا ارتكازها على الغرائز لا يمكن تغييرها ، وقالوا إن الخلق هو الصورة الباطنة للخلق ، وكما أن الطويل لا يمكن أن يجعل نفسه قصيرا ، ولا القصير أن يجعل نفسه طويلا ، ولا قبيح الشكل أن يجعل خلقته جميلة ، فكذلك الأخلاق الرديئة لا يمكن تغييرها وهؤلاء هم الجبريون الذين يقولون بالجبرية الحتمية ، ويعبر عنهم الشاعر العباسى بشار بن برد :

طبعت على مافى غير محيّر
هوى ولو خُيرت كنت المهذب
أريد فلا أعطى ، وأعطى ولم أرد
وقصّر علمى أن أنال المغيب
فأصرف عن قصدى وعلمى مقصر
وأمسى وما أعقت إلا التعجبا

وهذا مجرد مغالطة وسفسطة من بشار ، وليس إلا تبريرا يبرر به فساد خلقه ، وعكوفه على الشهوات واللذات ، فهو يزعم أنه مجبر على سوء خلقه ، لأنه يرى في الكون أشياء يقصر عن فهمها عقله ،

فادعى هذه الدعوى ليسقط عن نفسه اللوم وتحمل المسؤولية ، وهذه شئنة معروفة في ملاحظة الأمس وملاحظة اليوم الذين ينكرون الألوهية والدين ليقفزوا بعد ذلك إلى فعل ماتشهى نفوسهم واستباحة المنكرات والقبائح ، مادام الأمر أنه ليس هناك إله ولادين ولا إيمان ولاخير ولاشر ولابعث ولاحساب ، ولاعقاب ولاجزاء . وصدق الله العظيم حيث يقول : « وكان الإنسان أكبر شئ جدلا » .

ولو كان الأمر على ماينذهب إليه أصحاب هذه المذاهب الجبرية لبطلت الديانات والرسالات ، ولألغينا حكم الحكماء ، ولألغينا التربية ، ولأصبح الإنسان الذى كرمه الله وفضله على كثير من خلقه ، ومنحه العقل ليميز به بين النافع والضار ، والحسن والقبيح ، والخير والشر ، في منزلة أحط من منزلة الحيوان .

نعم ، الغرائز لايمكن تغييرها ، هذا صحيح ، ولكن يمكن تعديلها وتغيير مسارها ، وتقليم أظفارها الشرسة الحادة ، ونحن لاننكر أن غريزة حب الذات ، وغريزة حفظ النوع - أو غريزة الجنس - هما الغريزتان اللتان تسيطران على سلوك الإنسان وتصرفاته ، ولكن إطلاق العنان لهما مخرب ومدمر للبشرية ، وإذا كانت الغريزتان تعملان عند الحيوان بصورة طبيعية فطرية ، فيقتصر منهما على إشباع حاجته ، فإن بعض بنى الإنسان يخرج عن مقتضى الفطرة إلى درجة الإسراف والغلو وارتكاب المظالم وإلحاق الضرر والأذى بالآخرين ،

ولابد هنا من رادع يردع ، ويرد الجموح إلى القصد والاعتدال . وجبلت الإنسان وفطرته مهياة ومستعدة لتلقى الخير والشر ، وهنا يأتي دور التكليف ومناطه ، ويأتى جهد الإنسان في تركية نفسه وتطهيرها ، وهذا مايشير إليه قول الحق سبحانه وتعالى : « ونفس وماسواها . فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها » فالنفس الإنسانية قابلة للهدى والضلال ، والصالح والفساد ، هكذا صاغها الله وسواها ، فالسعيد من ارتقى بها عن أسر المادة وشوائب الأرض ، والشقى من غطاها وأخفاها بظلام المادة وكثافتها ، وهذا أيضا مايشير إليه النبي - صلى الله عليه وسلم - في قوله : « كل الناس يغدو ، فباتع نفسه فوبقها أو معقتها » فالأخلاق لاتقضى على الغرائز ، ولاتستطيع القضاء عليها ، لأن الغرائز هي محور النشاط ، وقد أوجدها الله فينا لتؤدى وظائفها ، فلو قضينا على غريزة البحث عن الطعام لهلك الكائن الحى ، ولو قضينا على غريزة الجنس لانقرض النوع من الوجود ، يقول عالم النفس الأمريكى مكدوجل :

« إن كل نزعة من هذه النزعات الفطرية ينبوع من الطاقة ، أما أن هذه الطاقة ستوجه إلى الخير أم إلى الشر فأمر يتعلق بتوجيهها إلى غاية نبيلة أو وضيعة ، كما يتعلق بالتحكم الرشيد في هذا التوجيه » . ويقول مكدوجل أيضا : « إن كل النزعات الفطرية قديرة على

والفلاسفة والمفكرون الذين اعتمدوا على العقل وحده ضلوا واعتورهم النقص والكلال ، وانظر إلى مايقوله السوفسطائيون من أن الإنسان مقياس نفسه ، لأنه يستمد معلوماته بحواسه هو ، وليس بحواس غيره ، وإذن فعرفته هو غير معرفة غيره ، ويترتب على هذا أن ما هو خير عند إنسان قد يكون شرا عند آخر ، وعلى هذا فلا خير ، ولا شر ، ولا حق ، ولا باطل ، ولا عدل ولا ظلم ، ولا حسن ولا قبيح !

ومنهم من اشتط وغلا حتى عدَّ الفضائل رذائل ، وجعل الرذائل فضائل ، وهم أصحاب الفلسفة الملحدة التي لا علاقة لها بالأخلاق ، ونهيل التراب على هذه الفلسفة اللا أخلاقية التي تمجد القوة ، وتعد الرحمة والفضائل خورا في الطبيعة وعجزا وضعفا ، ولزدد مع بسكال قوله : « إن البلاغة الحقة تسخر من علم البلاغة ، كما أن الأخلاق الصحيحة تسخر من علم الأخلاق » .

يقول الفيلسوف الألماني كانت : « إذا أردت أن تعرف حسن الشيم من قبيح الصفات فانظر بعقلك : ماذا سينجم ياترى من تعميم صفة من الصفات لو عممت ؟؟ فإذا كانت ستمخض حتما عن خلل في الوجود والعلائق الإنسانية فاعلم أن القبح شيمتها » .

إن الدين هو « البوصلة » التي لا يمكن أن يستغنى عنها ربان السفينة مهما أوتى من الفطنة والذكاء ، والدين يتحدث إلى الناس

فعل الخير والشر ، ولقد يكون هناك استثناء واحد في نزعة مفردة يبدو أن كلها خير حتى ما يمكن أن تظهر فينا في عنف شديد ، وقلما تحتاج إلى ضبط بواعثها ، تلك هي نزعة الحنان أو الرحمة والحماية التي وظيفتها الأساسية هي العناية بالطفل ، ثم امتدت فوسعت كل المخلوقات الضعيفة أو المعذبة ، وكل شئ رقيق عزيز علينا ، وهي تطف غضبنا ، وتحفف آلامنا ، وتشفي جراحنا ، وترقق أخلاقنا »

إن الإنسان نفخة من روح الله ، ولم يخلقه الله في هذه الحياة عبثا ، وما دامت فطرته مهياة لإرادة الخير وإرادة الشر ، فإن الدين الذي أنزله الله يضع بين يديه المبادئ الأخلاقية التي تبعده عن الشر وتهديه إلى الخير . يقول الله سبحانه وتعالى :

ألم نجعل له عينين . ولسانا وشفقتين . وهدينا النجدين «
والنجدان هما نجد الخير ، ونجد الشر ، يعنى طريقهما .

وكان من رحمة الله بالناس ألا يتركهم لفطرتهم التي قد تنحرف ، ولا لعقولهم التي قد تريغ ، فأرسل الرسل مبشرين ومنذرين ، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، وليرسموا لنا المنهاج السوى في العقيدة والشريعة والأخلاق والآداب ، فالعقل - كما يقول الإمام الغزالي - لا يهتدى إلا بالشرع ، والشرع لم يتبين إلا بالعقل ، فالعقل كالأساس والشرع كالبناء ، ولن يغنى أساس مالم يكن بناء ، ولن يثبت بناء مالم يكن أساس » .

جميعا وفضائل الأمور ورذائلها معروفة لمعظم الناس ، ولهذا تجد من يقترب ذنبا أو يرتكب إثما يحاول أن يخفيه ويداريه أو يغطيه بسفسطة أو زخرف من القول وزور .

الأخلاق في التوراة

والمشكلة ليست في المعرفة ، ولكن المشكلة في التطبيق والسلوك ، والجانب العملي أو السلوك هو الجانب الذى يهتم به الدين ، وحينما سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن البر قال : « البر ما اطمأنت إليه النفس ، واطمأن عليه القلب ، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر » وقال : « التقوى هاهنا » وأشار إلى صدره ، وقال : « استفت قلبك ، وإن أفثاك الناس وأفثوك » ولن يستفت القلب في أمر معروف حكمه من الدين ، ولكن الاستفتاء يأتي فيما يشكل من الأمور ، وسلوك الإنسان وتصرفاته الظاهرة تدل على أحوال قلبه وأخلاقه الباطنة . فالخلق متعلق بالفطرة والسجية ، والسلوك ترجمة عملية لهذا الخلق تظهر في الأقوال والأفعال والتصرفات .

نزلت التوراة على سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام ، وكانت رسالته موجهة إلى قومه بني إسرائيل ، وإلى فرعون ملك مصر الذى تربى سيدنا موسى في بيته وفي حجره حينما التقطته امرأة فرعون من نهر النيل ، وكان الله سبحانه وتعالى قد أوحى إلى أم موسى بهذا لينجو الطفل موسى من القتل الذى كان استحر في ذكور بني إسرائيل بأمر فرعون .

وحينما كبر موسى استطاع أن يقود بني إسرائيل ، وأن يخرجوا ليلا من مصر فرارا من اضطهاد فرعون ، وفي طور سيناء كلم الله تعالى موسى ، وأنزل عليه التوراة فيها هدى ونور ، ونخبنا القرآن الكريم أن التوراة قد حرفت وبدلت ، وقد أثبتت الدراسات التاريخية واللغوية التى قام بها العلماء المتخصصون في أوروبا أن التوراة الحالية كتبت في عهود مختلفة ، والمسلم الذى يقرأ التوراة اليوم يرى فيها مظهرين كبيرين من مظاهر التغيير والتبديل والتحريف .

المظهر الأول اضطراب فكرة الألوهية لدى اليهود في عقولهم ، فالتوراة التى بأيدينا تصور ذات الله - سبحانه وتعالى - في صورة

وهذا الكلام لا يحتاج إلى تعليق ، فهل يعقل أن خليل الله يكذب ، ويحرض امرأته على الكذب ، بل ويدفع بها إلى مهاوى الفسوق ومضاجع الزنا ؟ كلا ، والله إن يقولون إلا كذبا .

ثم اقرأ أيضا في هذا السفر في إصحاحه التاسع عشر عن نبي الله لوط ماتتقرز له نفس أى إنسان ، فقد رموه - عليه السلام - بالزنا ..
وعن ؟ بابتتيه !

وإليك نص كلامهم :

« وصعد لوط من صوغر ، وسكن في الجبل وابتناه معه ، لأنه خاف أن يسكن في صوغر ، فسكن في المغارة هو وابتناه . وقالت البكر للصغيرة : أبونا قد شاخ ، وليس في الأرض رجل ليدخل علينا ، كعادة كل الأرض ، هلم نسق أبانا خمرنا ونضطجع معه ، فنحى من أيينا نسلا ، فسقتا أباهما خمرنا في تلك الليلة ، ودخلت البكر ، واضطجعت مع أبيها ، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها .
وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة : إني قد اضطجعت البارحة مع أبي ، نسقيه خمرنا الليلة أيضا ، فادخلي اضطجعي معه ، فنحى من أيينا نسلا ، فسقتا أياهما خمرنا في تلك الليلة أيضا ، وقامت الصغيرة واضطجعت معه ، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها ، فجلت ابنتا لوط من أبيهما » .

وهذا داود - عليه السلام - يصورونه زثر نساء ، لا يتورع أن يزج

محسة مجسمة ، ومن غير المتصور ومن غير المعقول أن ينزل هذا على نبي مرسل ، وأن يكون قد صدر عن الله ، ثم إنها تنسب إلى الله - سبحانه - كثيرا من الصفات التي يتنزه عنها بعض البشر ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

والمظهر الثاني أن التوراة تنسب إلى الأنبياء أيضا جملة من القبائح ينفر منها البشر العاديون ، فما بالك بصفوة خلق الله المختارين لأداء رسالاته والتبليغ عنه .

وانظر ما قيل بحق خليل الرحمن سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، يقول سفر التكوين في إصحاحه الثاني عشر يصف دخول سيدنا إبراهيم أرض مصر بأمرته سارة :

« وحدث جوع في الأرض ، فأنحدر إبراهيم (= إبراهيم) إلى مصر ، ليتغرب هناك ، لأن الجوع في الأرض كان شديدا ، وحدث لما قرب أن يدخل مصر أنه قال لساراي (= سارة) امرأته : إني قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر ، فيكون إذا رآك المصريون أنهم يقولون : هذه امرأته ، فيقتلونني ويستبقونك ، قولى إنك أختي ، ليكون لى خير بسببك ، وتحيا نفسى من أجلك . فحدث لما دخل إبراهيم إلى مصر أن المصريين رأوا المرأة أنها حسنة جدا ، ورآها رؤساء فرعون ، ومدحوها لدى فرعون ، فأخذت المرأة إلى بيت فرعون ، فصنع إلى إبراهيم خيرا بسببها ، وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأتن وجمال » .

بقائده «أوريا» في حملة حربية إلى بلد بعيد ، ليخلوا له الجومع
زوجة القائد الجميلة .

إنها صور شائنة كريمة يصورون بها أنبياء الله الذين عصمهم الله
من الوقوع في مواقع الإثم والعصيان . ولاندرى كيف ساع لليهود أن
يصوروا أنبياءهم على هذه الصور البغيضة ؟ إنها جزء من الكيد
الذى أوقعوه بهم ، وطرف من الأكاذيب التى ألصقوها بهم .
ولانعجب أن يسلك اليهود هذا المسلك ، ويصنعوا هذا الصنيع ،
فهم قتلة الأنبياء ، والخراف الضالة الذين آذوا الأنبياء وافترؤا عليهم
الأكاذيب والمفتريات ، وحتى نبيهم موسى عليه الصلاة والسلام لم
يسلم من أذاهم وكيدهم ، فأشاعوا عنه أنه «آدر» أى متنفخ
الخصية ، فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيبا .

والتوراة تصف اليهود بأنهم شعب صلب الرقبة ، والقرآن الكريم
يصفهم بقساوة القلب وعدم الرحمة «فما نقضهم ميثاقهم لعناهم
وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه» وبلغ من قساوة
قلوبهم أنهم قتلوا في يوم واحد سبعين نبيا من أنبيائهم ثم قاموا إلى
السوق في آخر النهار يباشرون تجارتهم وشئونهم اليومية المعتادة .

وهم الذين حرضوا على قتل يحيى بن زكريا عليها الصلاة
والسلام ، أما موقفهم من السيد المسيح عليه السلام الذى أرسله الله
إليهم ليصحح ما أفسدوه من شريعة التوراة فقد قابلوا رسالته بالهزء
والسخرية ورموا أمه الطاهرة البتول العذراء بالزنا ، وكذبوا به ،

لأنهم كانوا ينتظرون مسيحا آخر يفتح لهم كنوز الأرض ، ويعيد إليهم
ملكهم الذى ذهب ، فلما أخبرهم عيسى عليه السلام بأنه جاء ليفتح
لهم كنوز السماء ، ويعدهم بمملكة أخرى ليست في هذا العالم
سخرؤا منه وزهدوا فيه ، ومن أين لهم أن يدركوا مملكة الروح
وملكوت السموات ؟!

وقبائل اليهود التى كانت تسكن يثرب (المدينة) ناصبت نبي
الإسلام العداوة والحسد والبغضاء ، وخاسؤا بعهدہ ، وألبؤا عليه
المشركين حسدا وبغيا من عند أنفسهم ، مع أنهم كانوا يعرفونه كما يعرفون
أبناءهم .

ويسجل القرآن الكريم على بنى إسرائيل فساد أخلاقهم وانحرافهم
في كثير من المواضع ، يقول القرآن الكريم «لعن الذين كفروا من بنى
إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصؤا وكانوا
يعتدون . كانوا لا ياتهاهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون» .

وأقل شئ في نظرهم أنهم يأكلون السحت والربا ، ويحتالون
بالحيل الدنيئة الخبيثة الخسيسة لتحقيق مآربهم المادية الوضيعة .

وهامهم يسجلون على أنفسهم في توراتهم أنهم لصوص سرقة ،
يقول سفر الخروج زاعما أنه يتحدث عن الله .

«ولكنى أعلم أن ملك مصر يدعكم تمضون ولاييد قوية ، فأمد
يدى وأضرب مصر بكل عجائبي التى أصنع فيها ، وبعد ذلك

يطلقكم ، وأعطى نعمة لهذا الشعب في عيون المصريين ، فيكون حينما تمضون أنتم لآتمضون فارغين ، بل تطلب كل امرأة من جارتها ، ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا ، وتضعونها على بنيكم وبناتكم لتسلبوا المصريين .

وهذا صك اعتراف لا يستطيعون له إنكارا أو جحودا ، والعجيب أنهم ينسبون إلى الله - سبحانه وتعالى - أنه هو الذى أمرهم بهذا السلب والنهب ، ولا عجب فهم كما قال الله فيهم « ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » .

أما عن عنصريتهم البغيضة وتفرقتهم بين أبناء آدم ، فحدث عنه ولا حرج ، فهم يزعمون أنهم أبناء الله وأحباؤه ، « قل فلم يعذبكم بذنوبكم ، بل أنتم بشر من خلق » .

ولأنهم ماديون حسيون طلبوا من موسى عليه السلام أن يريهم الله جهرة ، وانتهزوا فرصة غيابه ، وكان قد ذهب لميقات ربه ، فصنعوا عجلا من ذهب واتخذوه إلها يعبدونه !

ولقد نعى عليهم المسيح عليه السلام أنهم حولوا بيت الله إلى سوق يبيعون فيه الحمام واليمام ، وانتهكوا حرمة المعبد ، مما اضطر المسيح أن يقلب على التجار والصيارفة موائدهم ، وأن يزجرهم هذا الزجر العنيف « مكتوب يبنى بيت الصلاة يدعى ، وأنتم جعلتموه مغارة لصوص » .

وكان الفريسيون وهم أكبر فرقهم الدينية من الدّ أعداء المسيح عليه السلام ، ومن مقولاتهم الفاسدة أن الصالحين من الأموات سيعثون في هذه الحياة الدنيا ، ويشاركون في ملك « المسيح » الذى ينتظرونه .

والصدوقيون منهم لا يؤمنون بالبعث ولا باليوم الآخر وما فيه من حساب وجزاء وثواب وعقاب وجنة ونار ، ويذكرا بن حزم في كتابه « الفِصل في الملل والأهواء والنحل » أن هذه الفرقة كانت تقول : عزيز ابن الله .

وعبث القوم بوصايا موسى فبدلوا فيها وحرفوا ، ورغم هذا التحريف فقد اشتملت على أهم دعائم الأخلاق التى لا يعيش مجتمع ولا يبقى بدونها ، تقول الوصايا التى ذكرها سفر الخروج فى الإصحاح العشرين :

ثم تكلم الله بهذه الكلمات قائلا :

أنا الرب إلهك الذى أخرجك من أرض مصر ، من بيت العبودية ، لا يكن لك آلهة أخرى أمامى .

لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة ما مما فى السماء من فوق ، وما فى الأرض من تحت ، وما فى الماء من تحت الأرض ، لا تسجد لهن ولا تعبدهن ، لأنى أنا الرب إلهك ، إله غيور ، أفتقد ذنوب

الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضى ، وأصنع
إحسانا إلى ألو ف من محببى وحافظى وصاياى .

لا تنطق باسم الرب إلهك ، لأن الرب لا يبرئ من نطق باسمه
باطلا . اذكر يوم السبت لتقدسه ، ستة أيام تعمل وتصنع جميع
عملك ، وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك ، لا تصنع عملا ما
أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمنتك ونزليك الذى داخل
أبوابك ، لأن في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل
ما فيها ، واستراح في اليوم السابع !! لذلك بارك الرب يوم السبت
وقدسه !!

أكرم أباك وأمك لكى تطول أيامك على الأرض التى يعطيك
الرب إلهك .

لا تقتل .

لا تزنى .

لا تسرق .

ولا تشهد على قريبك شهادة زور ، لا تشته بيت قريبك ، لا تشته
امرأة قريبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ، ولا شيئا مما
لقريبك » .

وعلى الرغم مما نلاحظه في هذه الوصايا العشر من سمات التحريف

والعنصرية إلا أننا نلاحظ أنها تضع أساس مجتمع دينى يقوم على عدم
الشرك بالله ، وقد حرمت الوصية الثانية صنع التماثيل والصور
والسجود لها ، وتنطق الوصية الثالثة بما يجب أن يكون عليه المؤمن
من صيانة اسم الله ، فلا ينطق باسمه تعالى باطلا ولا يحلف به كاذبا ،
وقدست الوصية الرابعة في زعمهم يوم السبت الذى اشتق من
السبت أى السكون وعدم الحركة .

وقدست الوصية الخامسة الأسرة ودعامتها الأم والأب ،
والإحسان إليهما واجب دينى أخلاقى ، وإكramهما فرض فى كل ملة
ودين .

وحرمت الوصايا السادسة والسابعة والثامنة القتل والزنا والسرقة ،
فن شأن هذه الجرائم الثلاثة أن تقوّض بنيان كل مجتمع لا يحترم حرمة
الدماء والأعراض والأموال .

وحضت الوصية التاسعة على الصدق فى القول وحفظ الأمانة ،
ونته الوصية العاشرة عن التطلع إلى مافى أيدي الناس ، وإن كان
اليهود قد خصوا أنفسهم بأنهم الناس ، وباقى البشر أمميون وأجانب لا
تدرّكهم - فى زعمهم - رحمة الله !

وقد لاحظ ول ديورانت صاحب كتاب قصة الحضارة أن أفضل
الوصايا كلها لم تكن بين هذه الوصايا العشر ، وإن كانت جزءا من
الشريعة الموسوية ، ويقصد بذلك ماورد فى الآية الثامنة عشرة من

الإصحاح التاسع عشر من سفر اللاويين ، فقد جاءت هذه الآية تائمة بين طائفة من القوانين المتكررة المختلفة الأنواع ، ولايزيد نصها عن هذه الجملة القصيرة :

« وتحب قريبك كنفسك » .

ومن الوصايا التي ذكرتها التوراة ولايعمل بها اليهود :

لاتقبل خبرا كاذبا ، ولاتضع يدك مع المنافق لتكون شاهد ظلم . لاتتبع الكثيرين إلى فعل الشر ، ولاتجب في دعوى مائلا وراء الكثيرين للتحريف .

ابتعد عن كلام الكذب ، ولاتقتل البرئ والبار ، لأنى لا أبرر المذنب .

ولا تأخذ رشوة ، لأن الرشوة تعمي المبصرين وتعوج كلام الأبرار » .

أما جزاء العمل بهذه الوصايا فيقول سفر اللاويين في إصحاحه السادس والعشرين .

« إذا سلكتم في فرائضى وحفظتم وصاياى وعملتكم بها ، أعطى مطركم في حينه ، وتعطى الأرض غلتها ، وتعطى أشجار الحقل أثمارها ، ويلحق دراسكم بالقطاف ، ويلحق القطاف بالزرع ، فتأكلون خبزكم للشبع ، وتسكنون في أرضكم آمنين ، وأجعل سلاما

في الأرض فتنامون وليس من يزعجكم ، وأبيد الوحوش الرديئة من الأرض ، ولايعبر سيف في أرضكم ، وتطردون أعداءكم فيسقطون أمامكم بالسيف » .

وهكذا لابد أن يتقاضى اليهود ثمن العمل الصالح عاجلا ، جزاء دنيوى صرف شأن من لا يؤمنون باليوم الآخر ومافيه ، مع أن القرآن الكريم يثبت أن القوم كانوا على أيام موسى يعرفون اليوم الآخر ومافيه « واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك » .

ومن أجل هذا يطلق على بنى إسرائيل لفظ اليهود ، وهى كلمة مشتقة من هاد الرجل أى تاب ورجع ، وإنما سموا بذلك لقول موسى عليه السلام في مناجاته لربه « إنا هدنا إليك » أى تبنا ورجعنا .

وتتحدث تورا اليهود عن العدل والقصاص ، ولانجد فيها ذكرا لمبدأ التسامح والعفو ، حتى لقد عرفت الشريعة اليهودية بأنها شريعة القصاص ، ولكن القرآن الكريم وهو المهيمن على الكتب السماوية والضابط لما جاء فيها يشير إلى أن مبدأ العفو والتسامح جزء من تورا موسى إلى جانب مبدأ العدل والقصاص ، وتأمل ما يذكره القرآن الكريم عن التوراة :

« وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس ، والعين بالعين ، والأنف بالأنف ، والأذن بالأذن ، والسن بالسن ، والجروح قصاص ، فمن

تصدق به فهو كفارة له ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » .

الأخلاق في الانجيل

أرسل الله سبحانه وتعالى سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام إلى بني إسرائيل ليقوم اعوجاجهم ، ويصحح مفاهيمهم الخاطئة ، ويردّ إلى شريعة التوراة صفاءها ونقاءها ، وأيده بمعجزات قاهرة باهرة ، ولكن لم يؤمن برسالته سوى نفر قليل ، وناصبه معظم اليهود العداء .

ومن بين هذه المعجزات أنه كلم الناس في المهد ، ونطق ببراءة أمه العذراء البتول التي أنجبت به بأمر الله دون أن يمسه بشر ، كما قال الله تبارك وتعالى في سورة مريم : « فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا . يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا . فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا . قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا . وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا » .

ولقد شكلت قصة مولد السيد المسيح العجيبة دون أب شبهة لدى أتباعه من بعده فقيلت فيه مقولات كثيرة تدل على الحيرة والاضطراب ، وهي على كل حال خارجة عن حدود بحثنا الذي

فالضمير في قول الله سبحانه وتعالى « وكتبنا عليهم فيها » يعود على التوراة ، ويعود الضمير في قوله « فمن تصدق به » إلى القصاص ، فالآية تجمع بين القصاص والعفو ، فالآية الكريمة تشير إلى أن المعتدى عليه إذا تصدق بالعفو عن المعتدى ، فإن هذا التصديق يعتبر كفارة له ، أى أن الله سبحانه وتعالى يضع عنه من سيئاته بمقدار ما تصدق به .

أين ذهب اليهود بمبدأ العفو؟ إنهم ضيعوه ، كما ضيعوا مبدأ العدل والقصاص ، فحولوه إلى شريعة ثأر وانتقام ، وما يصنعه أحفادهم اليوم بالفلسطينيين والعرب في لبنان جرائم جديدة منكورة مضافة إلى الجرائم التي ارتكبتها أسلافهم بالأمم والشعوب .

نتناوله الآن ، ولكن موقف الإسلام مما قيل فيه وفي مولده واضح تلخصه الآية الكريمة : « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ، ثم قال له كن فيكون » .

أما القول بغير هذا فهو غلو وشطط « يا أهل الكتاب لاتغلو في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق » ودين الله واحد لا يتغير ، وكانت دعوة كل نبي إلى قومه « يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره » ويقول الحق سبحانه وتعالى « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك » وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه « نعم ، قد تختلف شريعة عن شريعة بالنظر إلى زمانها الموقوت ومكانها المحدود ، ولكن الدين حقيقته واحدة ، وآخرها الدين الخاتم الذي ختمت به الأديان ، وكان ديننا عاما شاملا للناس في كل زمان ومكان .

يقول الشهرستاني في كتابه الملل والنحل :

« والإنجيل النازل على المسيح عليه السلام لا يتضمن أحكاما ، ولا يستبطن حلالا ولا حراما ، ولكنه رموز وأمثال ، ومواعظ ومزاجر ، وماسواها من الشرائع والأحكام فمحالة على التوراة فكانت اليهود لهذه القضية لم ينقادوا لعيسى بن مريم عليه السلام ، وادعوا عليه أنه كان مأمورا بمتابعة موسى عليه السلام وموافقة التوراة فغير وبذل ، وعدّوا عليه تلك التغييرات ، منها تغيير السبت إلى الأحد ،

ومنها تغيير أكل لحم الخنزير ، وكان محرما في التوراة ، ومنها الختان والغسل وغير ذلك ، والمسلمون قد بينوا أن الأمتين قد بدلوا وحرفوا ، وإلا فعيسى عليه السلام كان مقرا لما جاء به موسى عليه السلام ، وكلاهما مبشران بمقدم نبينا محمد نبي الرحمة صلوات الله عليهم أجمعين » . وبعيدا عن مسائل الخلاف فإن جوهر المسيحية - كما ترسمها الأناجيل الأربعة المعتمدة - هي الرسالة الأخلاقية الروحية ، وكلمة إنجيل كلمة يونانية معناها البشارة ، والأناجيل التي كتبت بعد المسيح أناجيل كثيرة حرم المسيحيون أكثرها ، واعتمدوا منها أربعة فقط يسميها المسيحيون إلى جانب الرسائل التي ضمت إليها بكتب العهد الجديد ، تميزا لها عن كتب العهد القديم مثل التوراة بأسفارها الخمسة ، وسفر يشوع ، وسفر القضاة ، .. الخ وإنجيل متى هو أول هذه الأناجيل ، ويعزى إلى متى الرسول ، قيل إنه كتب في الثلث الثاني من القرن الأول للمسيح قبل السنة السبعين ، ولغته الأصلية الآرامية ، وقد توخى متى في إنجيله أن يظهر المسيح على صورة المسيح الموعود لبني إسرائيل .

وإنجيل مرقس هو ثاني كتب العهد الجديد ، ويرى كثير من الباحثين أنه الإنجيل الأول الذي دون حوالى السنة السبعين ، ويروى حياة المسيح من تعميده إلى آلامه وقيامه .

وإنجيل لوقا هو الكتاب الثالث من العهد الجديد ، دُون في

على سدّ المنافذ التي تؤدي إلى القتل أو الزنا أو السرقة ، فالكلمة النائية يرمى بها الأخ في وجه أخيه قد تؤدي إلى جريمة القتل ، والنظر إلى امرأة شهوة قد تقضي إلى ارتكاب الزنى ، لأن النظرة المشتهية تكون مصحوبة بالتنى والرغبة ، ومن شأن الرغبة أن تقضي إلى تحريك الإرادة ومباشرة الفعل .

ويقول انجيل متى :

- قد سمعتم أنه قيل : عين بعين ، وسنّ بسنّ ، وأما أنا فأقول لكم : لاتقاوموا الشر ، بل من لطمك على خدك الأيمن فحوّل له الآخر أيضاً ، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً .

ولقد تقدم أن اليهود حولوا القصاص إلى انتقام وثأر ، وأسقطوا مبدأ التسامح والعفو ، ومن هنا جاءت إشارة السيد المسيح تلفتهم إلى هذا المبدأ السامى الذى تركوه وهجروه ، فرد العدوان بمثله أمر مقرر يتسق مع الطبيعة والفطرة ، ولكن مبدأ التسامح لا يستطيع الأخذ به إلا قليل من الناس ممن يتصفون بسمو النفس ، وأشرت قلوبهم بالحجة ، ولهذا يقول القرآن الكريم في شأنه « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتي هي أحسن ، فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » .

ولصعوبة هذا على النفس جاءت الآية التالية بعد الآية السابقة

أواخر القرن الأول وهو الانجيل الوحيد الذى يتكلم عن ولادة المسيح ، كما يعرض لصلبه وبعثه ، وفيه نصوص كثيرة لم ترد في الأناجيل الأخرى ، وكتب هذا الانجيل خاصة للآثينيين باليونانية موضحاً رحمة يسوع الشاملة .

أما رابع الأناجيل فهو انجيل يوحنا ، وضعه الرسول يوحنا ، وعنى فيه باللاهوت المسيحى ، وما كتبناه عن هذه الأناجيل ملخص بإيجاز عن كتاب الدكتور عبد الواحد وافي .

وقد قلنا إن جوهر المسيحية هو الأخلاق الروحية ، والآن نستعرض معا طائفة من هذه التعاليم :

يقول انجيل متى على لسان السيد المسيح :

- « قد سمعتم أنه قيل للقدمات : لاتقتل ، ومن قتل يكون مستوجب الحكم ، وأما أنا فأقول لكم : إن كل من يغضب على أخيه باطلاً يكون مستوجب الحكم » .

- قد سمعتم أنه قيل للقدمات : لاتزن ، وأما أنا فأقول لكم إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتتها فقد زنى بها فى قلبه » .

فالسيد المسيح عليه السلام يشير هنا إلى ماورد فى التوراة : لاتقتل ، لا تزن ، لاتسرق » ويقرر مبدأ حرمة الدماء والأعراض والأموال التى قررتها الأديان جميعاً ، ويزيد على التوراة بالعمل

تبين وتوضح ذلك « ومايلقاها إلا الذين صبروا ومايلقاها إلا ذو حظ عظيم » .

وفي هذا المعنى يقول الانجيل أيضا على لسان السيد المسيح :

- سمعتم أنه قيل : تحب قريبك ، وتبغض عدوك ، وأما أنا فأقول لكم : أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، أحسنوا إلى مبغضيك ، وصلوا من أجل الذين يسيئون إليكم » .

فاليهود قصروا دعوة المحبة على القريب أى على اليهود ، أما باقى الأمم فيضعونهم موضع الأعداء ، وهو تعصب ممقوت ، وسلوك غير أخلاقى ، وعنصرية بغیضة ، ومن هذا القبيل أيضا أنهم يجرمون الربا - نظريا - فيما بينهم ، ويحللونه فى معاملة الغرب من غير جنسهم .

ومبدأ المحبة أو الحب ، محبة الله ، محبة الناس ، محبة الكون ، مبدأ يربط الإنسان بالكون الذى يتجاذب بقانون المحبة ، وكلما خفف الإنسان من أنانيته وانعقد عن ذاته ، وانسجم مع الكون ، كلما قرب من الله وقد جعل نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام من المحبة شرطا للإيمان فقال : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايجب لنفسه » . ويقول الانجيل :

- الإنسان الصالح من كثر قلبه الصالح يخرج الصلاح ، والإنسان

الشرير من كثر قلبه الشرير يخرج الشر ، فإنه من فضلة القلب يتكلم اللسان .

- لأنه مامن شجرة جيدة تثمر ثمرا رديا ، ولاشجرة ردية تثمر ثمرا جيدا ، لأن كل شجرة تعرف من ثمرها ، فإنهم لايجنون من الشوك تينا ، ولا من العليق عنباً » .

- لأنه من الداخل ، من قلوب الناس ، تخرج الأفكار الشريرة ، زنى ، قتل ، فسق ، سرقة ، طمع ، خبث ، مكر ، عهارة ، عين شريرة ، تجديف ، كبرياء ، جهل ، جميع هذه الشرور تخرج من الداخل وتنجس الإنسان » .

ونقول إن القلب هو موطن سريرة الإنسان والرمز الذى يرمز به على هذه السريرة ، فإذا كانت سريرة الإنسان تنطوى على الخير ظهر ذلك مترجما فى قوله وفعله وسلوكه ، وإذا كانت سريرته تنطوى على الخبث والكذب والنفاق والرياء انعكس كل ذلك على ظاهره ، وقد أتى القلب بهذا المعنى فى الحديث النبوى المعروف « ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهى القلب » ولقد حدثوا أن لقمان الحكيم أمره سيده - وكان عبدا - أن يأخذ شاة فيذبحها ، ويأتى إليه بأفضل أعضائها ، فذبحها وأتى إليه بالقلب واللسان ، ثم بعد أيام أمره مرة ثانية بأن يأخذ شاة ويذبحها ويأتى إليه بأخبث أعضائها ، فذبحها وأتى إليه

بالقلب واللسان ، فسأله سيده في هذا ، فأجاب لقمان بأنها أطيب ما فيها إذا طابا ، وأخبت ما فيها إذا خبتا .

ولقد كان السيد المسيح عليه السلام ينعى على اليهود خبثهم وسوء طويتهم ونفاقهم فكان يجابههم بمثل قوله :

- ويل لكم أيها الكتبة الفريسيون المراءون ، لأنكم تشبهون قبورا مبيضة ، تظهر من خارج جميلة ، وهى من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة » .

- ويل لكم أيها الكتبة الفريسيون المراءون ، لأنكم تعشرون النعنع والشبث والكمون ، وتركتم أثقل الناموس : الحق والرحمة والإيمان » .

فاليهود يهتمون بالمظهر دون الخبر ، يحافظون على القشور ، ويضيعون القلب واللباب ، يتظاهرون بالورع والتقوى ، وقلوبهم خربة عفنة يهتمون بالطقوس ، ويضيعون حقيقة الإيمان ، يحاسبون على البعوضة ويتلعون الجمل !!

ومن فساد طويتهم حبهم لجمع المال وعبادته واكتنازه ، ولهذا رفع المسيح عليه السلام في وجوههم شعاراً ما آله لنفوسهم ! ، فهو يقول لهم :

- لا يقدر أحد أن يخدم سيدين ، لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب

الآخر ، أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر ، لا تقدر أن تخدموا الله والمال » .

والملاحظ أن جامع المال مهما جمع يزداد سعاره ، ويزداد كلبه ، ويزداد حرصه وشحه ، وحرم منه من يستحق ، وأعطى منه من لا يستحق بإنفاقه فى الشهوات والملذات ، ولهذا يقول المسيح عليه الصلاة والسلام :

- الحق أقول لكم إنه يعسر أن يدخل غنى إلى ملكوت السموات ، وأقول لكم أيضا : إن مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غنى إلى ملكوت الله » .

ولما كان الغنى محفوفا بالبخل والشح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أقسم الله تعالى ألا يدخل الجنة بخيل » وقال المولى عز وجل :

« والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم . يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكتزون » .

ولهذا يقول السيد المسيح أيضا :

- لا تكتزوا لكم كنوزا على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ ،

وحيث ينقب السارقون ويسرقون ، بل اكنزوا لكم كنوزا في السماء حيث لا يفسد سوس ولا صدأ ، وحيث لا ينقب سارقون ولا يسرقون ، لأنه حيث يكون كنزك يكون قلبك أيضا .

وكان المسيح عليه السلام يحدثهم عن خبز السماء فيحدثونه عن خبز الأرض :

- ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان »

- إن كان موسى قد أطعمكم المن والسلوى ، فأنا أطعمكم خبزا سماويا » ولكن من أين لليهود أن يفقهوا هذه اللغة الروحية ، وقد استبدت بهم شهواتهم حتى انتفخت بطونهم ، وامتدت كروشهم ، وترهلت أبدانهم ؟ « والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم » .

ويقول لهم السيد المسيح في عظاته :

- لاهتموا بحياتكم بما تأكلون وتشربون ، ولا لأجسادكم بما تلبسون ، أليست الحياة أفضل من الطعام ؟! والجسد أفضل من اللباس ؟! انظروا إلى طيور السماء ، إنها لا تزرع ولا تحصد ، ولا تجمع إلى مخازن ، وأبوكم السماوى يقوتها ، أليس أنتم بالحرى أفضل منها ؟ ومن منكم إذا اهتم يقدر أن يزيد على قامته ذراعا واحدة ؟ ولماذا تهتمون باللباس ؟.

انظروا ، تأملوا زنابق الحقل كيف تنمو ، لاتتعب ولا تغزل ، ولكن أقول لكم : إنه ولا سليمان في كل مجده كان يلبس كواحدة منها ، فإن كان عشب الحقل الذى يوجد اليوم وي طرح غدا في التنور يلبسه الله هكذا ، أفليس بالحرى جدا يلبسكم أنتم يا قليلي الإيمان .

هذا ، ولما كانت قضية المال وصلته بالأخلاق والإيمان قضية خطيرة فإننا سنعقد لها فصلا خاصا حينما نتحدث عن الأخلاق في الإسلام ، ويكفيها هنا أن نشير إلى ما ألعنا إليه من أن الرسالة الأخلاقية هي جوهر المسيحية ولها اللباب ، ولسنا نقول هذا من عند أنفسنا ، فهذا رئيس من رؤساء المسيحية وزعيم من زعمائها هو القس إبراهيم سعيد يقول في كتابه « أصحاب السعادة » :

« لسنا نجد في الموعظة على الجبل عقائد لاهوتية كعقيدة الثالوث ، أو التبتى ، أو التبرير ، أو التجديد ، لكننا نجد مبادئ روحية سماوية سامية ، هي روحنا وحياتنا في حياتنا العملية .

ولاشك عندى فى أننا فى هذه الأيام ، وفى غير هذه الأيام أخرج إلى مبادئ الحياة الروحية العملية منا إلى العقائد اللاهوتية ، والنظم الكنسية .

ولست أحسنى مبالغا إذا قلت : إن شر الأيام التى مرت بالمسيحية هى تلك الأيام التى انصرفت فيها عن تقويم الحياة الروحية العملية إلى تقديم العقائد اللاهوتية .

إن للعقيدة العقلية مقامها ومكانتها ، ولكن حياة القلب والروح مكانة أهم ، ومركزا أفضل ، ومقاما أسمى .

أعرفون ذلك القانون العظيم المسمى « قانون الإيمان الرسمى » الذى يتبدى بالقول : « أنا أومن بإله واحد ... » الذى تتألف منه عقيدة الكنيسة ؟

إنه لمن المحزن حقا أن فى محاولة تقرير هذا القانون وغيره من قوانين الإيمان قد أنقسمت الكنيسة على نفسها ، وقد وقعت اضطهادات نارية محرقة على الكنيسة ، ومن الكنيسة ، على قوم آخرين فى الكنيسة ، مع أنهم لو اتفقوا على القول بأن خلاصة قوانين الإيمان المسيحية قد حواها كلام المسيح فى الموعظة على الجبل لما اختلف فى قانون المسيحية اثنان » .

وهذا كلام طيب ، فلو أعطت المسيحية جهدها ووجودها لهذه التعاليم لكانت جنبت نفسها كثيرا من الكوارث التى نجمت عن عقد الجامع وإصدار قرارات التكفير والحرمان .

الإسلام ودعائم الأخلاق

الإسلام نظام كامل متكامل عقيدة وعبادة وعملا وسلوكا ، وقد سبق أن قدمنا إجابة السيدة عائشة رضى الله عنها حينما سئلت عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : كان خلقه القرآن ، ومعنى هذه العبارة الموجزة الجامعة أن أخلاقه وصفاته صلى الله عليه وسلم كانت تتفق وجميع معطيات القرآن من أمر ونهى وأدب وحكمة ومعاملة ، يهتدى بهديه ، ويستضيئ بنوره فى كل أقواله وأفعاله وتصرفاته ، ولهذا استحق من الله هذا الوسام الربانى « وإنك لعلى خلق عظيم » ،

والرسول صلى الله عليه وسلم قدوتنا وإمامنا ، والقرآن دستورنا . ولقد دمج الإسلام دجا عجيبا بين عقائده وعباداته ومعاملاته وآدابه وأخلاقه ، فكان نسيجاً متلاحماً ، حتى إن الباحث الذى يريد أن يدرس موضوعاً من موضوعاته لو اقتصر على هذا الموضوع لكان كمن يريد أن ينسل خيطاً من خيوط نسيج محكم متلاحم !

وانظر كيف جمع القرآن الكريم فى آية واحدة من آياته الكريمة

بين العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق ، وجعلها كلها تفسيراً لخلق واحد من أخلاق الإسلام ، فالفضائل تتداخل وتتشابك ويفضى بعضها إلى بعض ، يقول الله جلت حكمته :

« ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين ، وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة ، والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » .

فليس الدين كما يظن بعض الناس مجرد عبادة وشعائر يقف المرء عندها ويؤديها ثم ينفض يديه متوهماً أنه أدى ماعليه ، ذلك أن العبادات إذا لم تنشئ آثارها التى فرضت من أجلها كانت مجرد حركات آلية ميتة لا روح فيها ولا حياة ، وإذا لم تحقق العقيدة أو العبادة مقصد الشرع وأهدافه فى الأخلاق والمعاملة كانت كغرس بلا ثمر ، فالدين بما يشتمل عليه من قواعد إيمانية وعبادات عملية ، ومعاملات وعقود ، وأخلاق وآداب أشبه بشجرة وارفة الظلال ، جذورها العقيدة ، وساقها العبادة ، وأوراقها المعاملة ، وزهرها الآداب ، وثمرها الأخلاق !

فعقيدة الإيمان بالله ووحدانيته ، والإيمان باليوم الآخر وموافيه ،

من بعث وحساب وثواب وعقاب وجنة ونار ، وعقيدة الإيمان بالرسول والأنبياء وما جاءوا به ، من كتب سماوية منزلة من عند الله ، وعقيدة الإيمان بالملائكة والفضاء والقدر ، كل هذه العقائد جذور وأصول كبرى تستقيم عليها العبادات والمعاملات والأخلاق ، لأن المؤمن بهذه العقائد لا يفصل بين الإيمان وأداء الصلاة والزكاة والإحسان إلى فقير جائع والصدق فى القول وحفظ الأمانة .. الخ فإذا قصر فى حق أو أداء واجب ندم واستغفر من ذنبه ، « إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون » فنحن بشر نخطئ ونصيب ، ونسهو ونغفل ، والتقوى والصلاح فى سرعة العودة والإنابة إلى الله ، وباب السماء مفتوح لمن تاب وأتاب !

وقد حل الدين مشكلة الأخلاق التى أنتجت المفكرين والفلاسفة عن طريق الإيمان ، إنك تسمع فى الفلسفة الأخلاقية عن مذهب اللذة أو مذهب المنفعة ، أو مذهب الواجب ، أو مذهب القوة (نيتشه) ومشكلة الأخلاق لاتحل بهذه النظريات ، وبعضها مخرب مدمر يثمر ثمرات نكدة معطوبة كالمذاهب الإباحية والإلحادية التى ترى فى الإنسان كائناً طارئاً كغيره من الكائنات الأرضية يقوم ويتلاشى وينتهى الأمر !

وإذن فالأجدد بالإنسان أن ينتهز ساعات عمره فى مقارفة اللذة واقتناص الشهوة ، واستيفاء حظه من الحياة ، ليفعل ما بدا له وما يقدر عليه ، فلا حساب هناك ولا عقاب ، وصدق الله العظيم حيث

يقول : « فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون »
ودور العبادات في تهذيب الأخلاق دور كبير ، فالعبادات تنطوي
على حكم خلقية جليلة الشأن ، ولها بالغ الأثر في تهذيب النفوس
وتطهير القلوب .

فالصلاة الحقيقية الكاملة هي التي تنهى صاحبها عن الفحشاء
والمنكر ، والقبايح والرذائل ، ويشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم
الصلوات الخمس بنهر يستحم فيه المصلي خمس مرات في اليوم ،
فهل يبقى على جسمه شئ من الدرن أو القذر ؟

ومن شأن الزكاة أن تطهر المزكى من رذيلة الشح والبخل ، يقول
الله تعالى : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها » ومن
معاني الزكاة في اللغة الطيب والرائحة الزكية الطيبة .

ومن شأن الزكاة وأثرها في المجتمع أنها تقضي على عوامل الحقد
والحسد والكراهية والبغضاء ، وتأخذ بيد الضعفاء والعاجزين .

والصوم عبادة وركن من أركان الإسلام يكسر شهوة النفس ،
ويوقظ عاطفة الرحمة ، ورياضة نفسية روحية تقوى الإرادة والعزيمة
وتعلم الصبر وتحمل المشقات ، وهي عبادة خفية لا يطلع عليها إلا
الله ، ومن هنا تأتي تربية الضمير وهو ما يعبر عنه القرآن بلفظ
التقوى ، فيقول الله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم
الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » .

وحج بيت الله الحرام ومافيه من مناسك وشعائر ، من الإحرام
بارتداء زى واحد غير مخيط ، يشعر الناس بالمساواة والأصل
الواحد ، وزوال المفارقات بين الطبقات والأجناس ، وبالحج تتأكد
الأخوة بين أبناء الإسلام ، وتتوحد المشاعر ، ويذلل المال ابتغاء
مرضاة الله ، ويتزود المؤمن ب زاد التقوى والإيمان .

وخلاصة القول أن للعبادة في الإسلام روحا يجب أن نحافظ
عليها حتى لا تتحول العبادة إلى مجرد مراسم شكلية خالية من المضمون
والجوهر ، وهو ما يحرص الإسلام على وجوده في كل عمل من
الأعمال .

أما موقف المعاملات من الأخلاق فإن المعاملات الإسلامية كلها
مبنية على الأخلاق ، من بيع وشراء ، وأخذ وعطاء ، ورهن
وقرض ، وتأجير وإعارة ، وهبة ووصية وزواج ومواريث وعقود
وعهود .. الخ .

وأساس النشاط هو العمل في الزراعة أو الصناعة أو التجارة أو
غيرها من وجوه النشاط الإنساني التي يحترمها الإسلام ، فالإسلام
يخص على العمل والسعى لاكتساب الرزق ، والله سبحانه وتعالى
يقول : « فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه » ويقول : « وأن ليس
للإنسان إلا ماسعى » ويقول : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم
ورسوله والمؤمنون » ولا مكان في الإسلام للبطالة والتعطل ، ولا مكان

للتسول والاستجداء ولا للكسل والتواكل ، وقد رفع الإسلام مكانة العمل إلى درجة العبادة ، وقرنه بها في قوله تعالى : « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » .

والإنسان في معركة السعي لطلب الرزق كثيرا ماتصبيه آفات السعي والعمل فينحرف تحت دافع الطمع والجشع إلى الغش ، أو غبن الناس ، وكثيرا ما يتحول السعي والطلب إلى سعار محموم ، لهذا وضع الإسلام للكسب المشروع حدودا ، ورسم لأنواع التعامل سياسة حكيمة رشيدة تقوم على رعاية المصالح والحقوق المالية ، والقاعدة الكبرى أنه لا ضرر ولا ضرار كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذه الحدود تمنع الإنسان من أكل جهد الناس ظلما وعدوانا ، ومن أخلاقيات الإسلام تحريم التعامل بالربا « الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس » ، ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا ، وأحلّ البيع وحرم الربا ، فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ، ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » .

ونظرة إلى ما يعانيه الاقتصاد العالمي اليوم من خلل وفوضى وعدم تكافؤ بين الدول الغنية التي كونت ثرواتها من الاحتكار والاستغلال والقوة القاهرة الغشوم ، وماتعانيه الدول الفقيرة المقترضة تحت نير

الفوائد الربوية الباهظة تطلعننا على الحكمة السامية التي يهدف إليها الإسلام من تحريم هذا النوع الحيث من التعامل الذي يورث الضغائن والأحقاد ، فالربا مبنى على الكسب دون مقابل ، وهو ظلم صارخ ، واستغلال لحاجة الإنسان ، وشريعة الله القرض الحسن للمحتاجين المعوزين « إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم ، والله شكور حلیم » .

وحرّم الإسلام أكل أموال الناس بالباطل تحت أية صورة من الصور ، واسم من الأسماء ، فحرم اغتصاب الأموال والحقوق ، وما يشبه الغصب من صور المعاملات ، يقول الله تبارك وتعالى : « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلّوها بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون » .

وجعل للسرقة عقوبة رادعة زاجرة هي قطع يد السارق متى ثبتت عليه جريمة السرقة واستوفت شرائطها ، وبعض الناس يستفزع هذا العقاب ، ولا يستفزعون الإخلال بالأمن العام والخوف والذعر الذي ينتاب الناس من جرائم السطو التي كثرت حوادثها هذه الأيام ، وإن هي إلا قطع أياد قليلة عابثة حتى يستتب الأمن ويشعر الناس بالأمان ، والمثل أمام أعيننا ، فقد كانت المملكة العربية السعودية من أكثر البلاد عدوانا على أموال الناس وأرواحهم في موسم الحج ، فلما طبق حكم الله ساد الأمن والأمان في ربوع البلاد .

ودعا الإسلام إلى توثيق الديون والإشهاد عليها حتى لا يحدث تجاحد أو إنكار ، وحتى يأخذ كل ذى حق حقه ، ومن آدابه وأخلاقه أنه يدعو الدائن إلى إنظار المدين وإمهاله إن كان معسرا ، فيفسح له فى الأجل والمدة ، بل ورغب فى إعفاء المدين من بعض الدين أو إسقاطه بالكلية ، ووعده على ذلك بالأجر العظيم والثواب من الله « وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة ، وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون » .

وحدث على أداء الشهادة وعدم كتمانها « ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه ، والله بما تعملون عليم » .

ومن أخلاقيات الإسلام فى المعاملات بالنسبة للتجارة ، عدم احتكار السلع والمبالغة فى الربح ورفع الأسعار ، وعدم الغش ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « من غشنا فليس منا » ونهى عن تطفيف الكيل والميزان ، ومثل الكيل والميزان ما يقاس بالمترو أو الذراع « ويل للمطففين . الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون . وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون . ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون . ليوم عظيم . يوم يقوم الناس لرب العالمين » .

يقول ابن تيمية رحمه الله : البيع والهبة والإجارة وغيرها من العادات التى يحتاج إليها الناس فى معاشهم كالأكل والشرب واللباس .. وإن الشريعة قد جاءت فى هذه العادات بالآداب

الحسنة ، فحرمت منها ما فيه ضرر ، واستحبت ما فيه مصلحة راجحة فى هذه العادات ومقاديرها وصفاتها » .

ولست المعاملات المالية وحدها المبنية على رعاية الحقوق والأخلاق ، فهناك كثير من ألوان العقود يحافظ الإسلام فيها على حقوق الطرفين المتعاقدين ، ولا يذهب كما يذهب القانون الوضعى بأن القانون لا يحصى المغفل ، هناك كنموذج مثلا عقد الزواج ، فقد نظم الإسلام العلاقة بين الرجل والمرأة على أساس الاعتراف لكل منهما بإنسانيته وأدميته ، فالعلاقة المشروعة فى الاتصال الجنىسى هى الزواج ، وهو طريق العفة وبناء الأسرة وإنجاب النسل ، فمن قدر على تكاليفه آثم بتركه لأنه سنتنا وشريعتنا ، ومن لم يقدر فليجعل نصب عينيه قول المولى عز وجل : « وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله » .

ومقياس الحسن فى المرأة هو الدين والخلق ، ولا بأس أن ينضم إليها الجمال والمال : « فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله » .

والصداق أو المهر فريضة مفروضة للمرأة ، ولا يحل للرجل أن يأكل شيئا منه إلا برضاها وعن طيب خاطر منها ، والاقتصار على زوجة واحدة هو الأصل عند خوف الجور وعدم العدل ، ولا يأتى التعدد المشروع إلا لضرورة من الضرورات .

وأساس الرابطة الزوجية المودة والرحمة « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة .

والحكمة من الزواج بقاء النوع الإنساني وتواصل الأجيال « والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا ، وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون » .

وقد ساوى الإسلام بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات ، وجعل أساس العلاقة المعاشرة بالمعروف حتى عند حدوث النفور « فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا »

واللجوء إلى الطلاق لا يكون إلا عند استحالة العشرة ، فالطلاق أبغض الحلال إلى الله ، كما قال رسول الله .

والاتصال الجنسي عن غير الطريق الشرعى اتصال آثم محرم عقوبته الجلد أو الرجم بشروطه المعروفة ، وينعى أعداء الإسلام على الإسلام هذه العقوبة الزاجرة ، ويتابعهم في ذلك غير الفاقهين من المسلمين ، أو رقيقوا الدين ، وهم يفضلونها إباحية مطلقة ، ويتخذون من المرأة دمية للهو والتسلية في سوق الرقيق الأبيض ، ويغلفون دعاواهم بأغلفة براقة خادعة تارة باسم الحرية الشخصية ، وتارة باسم الفن .. متبعين في ذلك مجتمعات تحررت من الدين ، ومن كل القيم والثوابت التي عاشت عليها البشرية دهورا طويلة .

وإذا ظهرت الفاحشة في مجتمع من المجتمعات وفشت فيهم سلط الله عليهم من الأمراض والأدواء ما لم يكن في أسلافهم ، وها هوذا مرض « الإيدز » ينخر في هذه المجتمعات جزاء شذوذهم وعدم استمسакهم بالشرف والعفة والفضيلة .

وأمام جريمة القتل شرع الإسلام القصاص حفظا للأرواح وإنقاذ للحياة من الدمار ، لأن القاتل حين يعرف أنه إن قتل يقتل امتنع عن القتل ، وهذا هو معنى قوله سبحانه وتعالى : « ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون » .

وأمام جريمة الحراة وهى قطع الطريق ، والنشل بالإكراه ، وسلب الأموال ، وهتك الأعراض وإهلاك الحرث والنسل والتحدى للدين والأخلاق والقانون وضع الإسلام عقوبة تمنع كل هذا في غمضة عين ، وعند أوليات التطبيق تختفى هذه الجرائم المنكرة التي نقرأ أحداثها في الصحف والمجلات ، وعلى شاشة التليفزيون أحيانا ، والعقاب هو ما قال الله رب العالمين الخبير بأدواء النفوس وعلل النفوس : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يُقَتَّلُوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ، ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم » .

والتعامل بين الحاكم والمحكوم يقوم على رعاية الحقوق

والواجبات ، وأساس الحكم في الإسلام إقامة العدل ، ومن أجل ذلك شرع نظام الشورى لتحقيق العدالة بين الناس « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » والعدل قاعدة من قواعد الإسلام وأصل كبير من أصوله على النطاق الجماعي وعلى النطاق الفردي « وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى » ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله » وطاعة الحاكم واجبة فيما لامعصية فيه لله « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا »

وأساس التعامل بين المسلمين جميعا التعاون على البر والتقوى ، وأساس التعامل بين أبناء البشر جميعا التعارف والتآلف « وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

وأساس الحرب في الإسلام الدفاع عن الدين والدفاع عن النفس والمال « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير » فإن مال العدو إلى السلم فالإسلام يقر السلم ويحنج إليه ، « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » .

واحترام العهود والمواثيق أدب من آداب الإسلام وخلق من أخلاقه ، « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » « وأوفوا بعهد الله إذا

عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون »

هذه نبذة مختصرة عن أحكام الإسلام في عقائده وعباداته ومعاملاته التي جعلها دعائم للأخلاق الفاضلة الكريمة ، فكانت أحكامه رحمة شاملة للناس جميعا « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين »

الأخلاق فى القرآن

للقرآن الكرم فى عرض الآداب والأخلاق طريقان أو أسلوبان متميزان ، أحدهما عرض الآداب والتوجيه والأخلاق عن طريق الوصايا والحكم والثانى عرضها عن طريق الوصف التقريرى لحال المؤمنين الصالحين المتجملين بأجمل الأخلاق وأحسن الآداب .

فمن الأسلوب الأول قوله سبحانه وتعالى فى سورة الأنعام :

« قل تعالوا أتلى ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين إحسانا ، ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ، ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون . ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده ، وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ، لا تكلف نفسا إلا وسعها ، وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ، وبعهد الله أوفوا ، ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون . وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلك وصاكم به لعلكم تتقون » .

وقوله سبحانه وتعالى في سورة الإسراء :

« وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا ، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا . ربكم أعلم بما في نفوسكم ، إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا . إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين ، وكان الشيطان لربه كفورا . وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا . ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا . إن ربك ييسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، إنه كان بعباده خبيرا بصيرا . ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم ، إن قتلهم كان خطئا كبيرا . ولا تقربوا الزنى ، إنه كان فاحشة وساء سبيلا . ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا . ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده ، وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا . وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا . ولا تقف ما ليس لك به علم ، إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا . ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا . كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها . ذلك مما أوحى إليك

ربك من الحكمة ، ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا » .

هذا هو الأسلوب الأول في عرض الأخلاق والآداب التي ينبغي أن يكون عليها المؤمن الصالح ، أما الأسلوب الثاني فهو كما قلنا أسلوب الوصف التقريرى الذى يصف حال المؤمنين الطيبين الصالحين وما هم عليه من تقى وصلاح وأخلاق نقية طاهرة ، ومن أمثلة ذلك الأسلوب قوله سبحانه وتعالى في أول سورة « المؤمنون » :

« قد أفلح المؤمنون . الذين هم في صلاتهم خاشعون . والذين هم عن اللغو معرضون . والذين هم للزكاة فاعلون . والذين هم لفروجهم حافظون . إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون . والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون . والذين هم على صلواتهم يحافظون . أولئك هم الوارثون . الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون » .

ومثل قوله تعالى في وصف عباده المؤمنين المتقين في سورة الفرقان : « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما . والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما . والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ، إن عذابها كان غراما . إنها ساءت مستقرا ومقاما . والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما . والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون

النفس التي حرم الله إلا بالحق ولايزنون ، ومن يفعل ذلك يلق
أثاما . يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا . إلا من تاب
وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ، وكان
الله غفورا رحيما . ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا .
والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما . والذين إذا
ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا . والذين يقولون ربنا
هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما . أولئك
يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما . خالدين فيها حسنت
مستقرا ومقاما »

ومن نعوتهم وصفاتهم في القرآن :

« الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون »

« الذين يقولون ربنا إنا آثمنا فاعف لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار .
الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار »

« الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن
الناس ، والله يحب المحسنين . والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا
أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب إلا الله ،
ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون » .

« الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في

خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقنا
عذاب النار »

« الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم
إيمانا وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم
ينفقون »

« الذين آمنوا وكانو يتقون » .

« الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق . والذين يصلون ما
أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب . والذين
صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا
وعلانية ويدعرون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار » .

« إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات
والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات
المتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم
والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا
عظيما » .

« وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون . والذين
يحتسبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون . والذين
استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم
ينفقون . والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون »

مغريات الحياة

يقول الله سبحانه وتعالى :

« زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا. والله عنده حسن المآب » .

هذه هي ملاذ الحياة ومغرياتها المال والنساء والأولاد ، وقد بدأ الله سبحانه وتعالى بالنساء لأن الفتنة بهن أشد ، كما ثبت في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : « ما تركت بعدى فتنة أضّر على الرجال من النساء » .

ولهذا رغب الإسلام في الزواج لتحصل العفة ويحدث النسل ، ومن نعمة الدنيا وخير متاعها الزوجة الصالحة كما أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد قال عليه الصلاة والسلام : « الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة ، إن نظر إليها سرته ، وإن أمرها أطاعته ، وإن غاب عنها حفظته في نفسها وماله » وقال في حديث آخر : « حبب إلى النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة » .

وكما أن للنساء سلطانا على قلوب الرجال ، كذلك للمال سلطان كبير على النفوس ، وحب التملك والاقتناء غريزة من غرائز الإنسان ، يقول الله تعالى : « وتحبون المال حبا جما » ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثا ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب » .

ويكذب من يقول إنه لا يجب المال ، فهو أكبر مقومات الحياة ، وسر الحركة والنشاط والعمران ، ولكن الشيء إذا زاد عن حده انقلب إلى ضده ، فقد يكون المال في يد الإنسان نعمة إذا اكتسبه من طريقه المشروعة الشريفة ، وأنفقه في وجوهه المشروعة ، وأدى منه الحقوق والواجبات ، وقد ينقلب إلى نقمة فيدمر صاحبه إذا أنفق في اللهو والعبث والملاذات وأكثر ما ينشأ من فساد الأخلاق إنما يأتي من هاتين الجهتين : المال والنساء ، والمال هو الأصل الذي يأتي بعده كل شيء الدور والقصور والأثاث والرياش والأطعمة الفاخرة والخدم والحشم والأتباع ، وماتشتهيه النفوس وترغب فيه ، وقد حذرنا الله سبحانه وتعالى من فتنة النساء ، وفتنة المال والولد لأن الطبيعة البشرية ضعيفة أمام هذه الفتن ، وهذا ما يحذرنا الله منه أن نضعف أمام إغراء المال أو إغراء الجمال ، أو حب الولد .

إن المال يصير نقمة وشرا إذا ضنَّ المرء به وشحَّ ، وحرَّم منه أصحاب الحقوق ، وأهرق في سبيله ماء وجهه ، وداس على

كرامته ، وضحى بأنفس القيم في سبيل جمعه .

وهو شر إذا اكتسبه من طرق خبيثة كالسرقة والغصب والاحتيال والنصب والربا والظلم والاحتكار والرشوة والاختلاس والغش وتطفيف المكيال والميزان .

وهو شر إذا أغرى صاحبه بالبطر والأشر والتكبر والخيلاء والزهو وصدق الله العظيم حيث يقول : « كلا إن الإنسان ليطغى . أن رآه استغنى » .

فالمال وسيلة وليس غاية في ذاته يقول صلى الله عليه وسلم : لا خير فيمن لا يجب المال ، ليصل به رحمه ، ويؤدي به أمانته ، ويستغنى به عن خلق ربه » .

وإذا كان الإسلام قد رسم الخطوط العامة العريضة لكسب المال عن طريق العمل والسعي والطرق الشرعية الأخرى كالهبة والميراث ، فإنه أيضا وضع الخطوط العامة لطريقة إنفاقه وصرفه .

وفي مقدمة هذه الوجوه ، الإنفاق على النفس والأهل ومن يجب عليه نفقتهم في حدود مازقه الله « لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاه ، سيجعل الله بعد عسر يسرا » .

ثم عليه أن يؤدي الواجبات المفروضة التي تتعلق بهذا المال ،

كالزكاة المفروضة والإنفاق في وجوه البر والخيرات ، ثم عليه ألا يحبس هذا المال ويكتره ، بل عليه أن يوظفه لخدمة الصالح العام ، وليتذكر كل غنى أولا وقبل كل شيء أن المال مال الله ، والله تعالى يقول : « وآتوهم من مال الله الذي آتاكم » ويقول : « وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير » .

وليتذكر أن متاع الدنيا زائل ، سرعان ما يمضي ويذول ، وما عند الله خير وأبقى ، فطوبى لمن آثر عفة النفس ، وقاوم سيطرة الشهوات والمغريات ، وآثر ما عند الله عن كل شيء سواه .

نماذج من الرذائل

من الصعب أن نفرق بين الرذائل الفردية التي تتعلق بالشخص ذاته ، وتكون مطعنا في شخصه ، والرذائل الاجتماعية ، فكلها في النهاية رذائل يعود ضررها على المجتمع وعلى الفرد نفسه ، فالكاذب حين يكذب يعود ضرر كذبه على المحيطين به ، ويحتقر بينهم ، وكذلك الأمر في باقي النقائص والعيوب .

والنفوس تمرض كما تمرض الأجساد ، فكما أن الإنسان يصاب بالذئبة أو تصلب الشرايين أو ضغط الدم ، فكذلك يصاب بأمراض نفسية خلقية لا تقل عنها خطرا وسوء عاقبة ، وسنورد هنا نماذج من هذه الرذائل والعيوب :

الكذب :

وهو صفة نفسية ذميمة تدل على ارتكاس الحلقة وفساد الطوية ، وبعض الناس يكذبون لدفع مضرة أو لجر مغنم ، وهم في هذا واهمون ، لأن النافع الضار هو الله سبحانه وتعالى ، والعجب كل

العجب ممن يكذب لمجرد الكذب ، وهو دليل نقص الإيمان .

يقول الله سبحانه وتعالى : « إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله » ويقول : « ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة » .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « إن الكذب يهدى إلى الفجور ، وإن الفجور يهدى إلى النار ، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا » .

النفاق :

والنفاق نوعان ، نفاق العقيدة ونفاق الأخلاق ، والنفاق في العقيدة هو من يبطن الكفر ويظهر الإيمان ، ولنفاق الأخلاق صور كثيرة ، من أظهرها المدح الكاذب تقربا للرؤساء ، وروى أن ناسا قالوا لعبد الله بن عمرو : إنا ندخل على سلاطيننا فنقول لهم بخلاف ما نتكلم إذا خرجنا من عندهم ، فقال لهم : كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، « يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون » .

ومن صورته مخالفة القول للفعل « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون . كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » .

وقد تهدد الله المنافقين بالعذاب الشديد يوم القيامة « إن المنافقين

في الدرك الأسفل من النار » « إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا » .

وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تجدون شر الناس ذا الوجهين » الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه » .

وهؤلاء المنافقون يتلونون كالخرباء ولا يشتتون على حال من الأحوال ، وهم فاقدوا الكرامة ، مسلوبوا الشخصية ، يدورون مع كل ريح ، ويتبعون كل ناعق .

والمنافق يهش في وجهك ويبش ، ولكنه زئبق القول والعمل :

يعطيك من طرف اللسان حلوة

ويروغ منك كما يروغ الشعب

الخيانة :

في تحريم الخيانة يقول الله سبحانه وتعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون » .

والخيانة لله تعالى وللرسول تعم الذنوب كبيرها وصغيرها ، وخيانة الأعمال هي خيانة الأمانات التي أوثمن عليها الإنسان ، ومن الخيانة الغلول ، وهو الخيانة في الفئ والمغانم في الحرب ، ويقاس عليها اغتيال المال العام الذي كثر في هذه الأيام ، فمن أوثمن على مال عام فأخذ منه شيئا لنفسه دخل في زمرة المغلين الذين هددهم الله بقوله : « ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة » .

ويدخل في هذا المعنى الهدايا التي تقدم إلى الحكام والرؤساء ،
ولا يقصد بها الصداقة والود وتوطيد المحبة بين الناس .

روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، استعمل على جمع
الزكاة رجلا من الأزد يسمى ابن اللثبية ، فلما جاء بالصدقات قال :
هذا لكم ، وهذا أهدي إليّ ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
على المنبر فقال :

ما بال العامل نبعثه على عمل فيقول : هذا لكم وهذا أهدي
إليّ ، أفلا جلس في بيت أبيه وأمه فينظر أيهدى إليه أم لا ؟!
والذي نفسي بيده ، لا يأتي أحدكم منها بشيء إلا جاء به يوم
القيامة على رقبته ، إن بعيرا له رغاء ، أو بقرة لها خوار ، أو شاة
تيعر ! ثم رفع يديه حتى رأوا عفرة إبطيه ، ثم قال : اللهم هل
بلغت ؟ اللهم هل بلغت ؟ اللهم هل بلغت ؟

فليحذر الذين يخالفون عن أمر الله أن يحل عليهم غضب الله ، أو
تصيبهم قارعة ويحل عليهم عذاب شديد .

الحقد والحسد :

معنى الحسد تمنى زوال نعمة الغير ، وقد تكون هذه النعمة دينا
أودنيا ، وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نستعيد به من شر الحاسد ،
وقال سبحانه وتعالى : « أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من

فضله » وفي الحديث الشريف « إياكم والحسد ، فإن الحسد يأكل
الحسنات كما تأكل النار الحطب » .

والحقد أصل الحسد ، فلا يحسد الناس إلا حاقدا يتلظى قلبه بنار
الحقد ، والحقد ليس من صفات المؤمن ، يقول رسول الله صلى الله
عليه وسلم « ليس المؤمن بحقود » .

والحقد والحسد هما أول معصية عصي الله بها في الوجود ، حينما
رفض إبليس أن ينفذ أمر الله بأن يسجد لآدم سجود تكريم
وتشريف ، وأول جريمة قتل في الوجود كانت بسبب الحسد حين قتل
قابيل أخاه هابيل .

الرياء :

وهو لون من ألوان النفاق ، قال الله سبحانه وتعالى في شأن
المرائين « يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا » وقال : « كالذي
ينفق ماله رثاء الناس » .

والرياء نوع من الشرك الخفي ، قال صلى الله عليه وسلم ، يحدث
عن الله « أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملا أشرك فيه
معي غيري تركته وشركه » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت النبي صلى الله عليه
وسلم يقول : إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد

فأتى به ، فعرفه نعمته فعرّفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت ، قال : كذبت ، ولكنك قاتلت لأن يقال : جرى فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار .

ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن ، فأتى به فعرفه نعمته فعرّفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمته ، وقرأت فيك القرآن ، قال : كذبت ، ولكنك تعلمت ليقال : عالم ، وقرأت القرآن ليقال : قارئ ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار .

ورجل وسّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال ، فأتى به ، فعرفه نعمته فعرّفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك ، قال : كذبت ، ولكنك فعلت ليقال : جواد ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار » نسأل الله أن يرزقنا الإخلاص ويحببنا الرياء .

البخل :

وحقيقة البخل إمساك المال وعدم إنفاقه في الواجبات المفروضة شرعا وفي أنواع المروآت ، ومن الناس من وسّع الله عليهم في الرزق وآتاهم من فضله فبخلوا وشحوا ، وطمس المال على قلوبهم فاتخذوه لها يعبدونه من دون الله .

يقول الإمام الغزالي : « وهذا مرض للقلب عسير العلاج ، لاسيما في كبر السن ، وهو مرض مزمن لا يرجى علاجه » .
والبخيل يتعلل لعدم إنفاق المال بشتى العلل والمعاذير .

وللبخيل على أمواله علل

زرق العيون عليها أوجه سود
والبخيل لا يقبل نصحا ولا إرشادا ، وكل محاولة تبذل معه لاتفسير لها إلا أن الناس يطمعون في ماله ، وهو فاقد الثقة بالله لأنه يخاف أن يرتدّ فقيرا .

« الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفشحاء ، والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم » .

« ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم ، بل هو شر لهم ، سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ، ولله ميراث السموات والأرض ، والله بما تعملون خبير » .

والشح أشد من البخل ، « ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » وفي الحديث الشريف « اتقوا الشح ، فإن الشح أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم ، واستحلوا محارمهم » وقال صلى الله عليه وسلم : « برئ من الشح من أدى الزكاة ، وقرى الضيف (يعنى قدم له الطعام) وأعطى عند النائبة (أى عند نزول المصائب) .

الغيبة والنميمة :

ومعنى الغيبة ذكر عيوب الناس في غيبتهم ، ومعنى النميمة السعى بالفساد بين الناس ، وفي ذمهما يقول الله سبحانه وتعالى : « ولا يغتب بعضكم بعضا ، أيجب أحذكم أن يأكل لحم أخيه ميتا » ويقول : « ولا تطع كل حلاف مهين . هماز مشاء بنميم » ويقول : « ويل لكل همزة لمزة » وقال صلى الله عليه وسلم : « لا يدخل الجنة نمام » وقال : ألا أخبركم بشراركم ؟ المشاءون بالنميمة ، المفسدون بين الأحبة ، الباغون للبراء العنت .

وعن أبي هريرة رضى الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أتدرون ما الغيبة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : ذكرك أخاك بما يكره ، قيل : أفرأيت إن كان في أخى ما أقول ؟ قال : إن كان فيه ما تقول فقد أغتبت ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهتته » والبهتان افتراء الكذب .

الايذاء :

ويكون بالقول وبالفعل ، ورب كلمة جارحة أوقع على النفس وآلم من وقع الحسام المهند ! هؤلاء الذين يؤذون الناس بالسنتهم ويتقصونهم ويلصقون بهم التهم الكاذبة الظلمة ، إنهم منكسوا الحلقة ، فاسدوا السريرة ، مغرضون موتورون .

« والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً » « إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لا تؤذوا عباد الله ولا تعيروهم ، ولا تطلبوا عوراتهم ، فإنه من طلب عورة أخيه المسلم طلب الله عورته حتى يفضحه في بيته » وقال عليه الصلاة والسلام « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » .

الظلم :

وهو العدوان على حق الغير ، أيا كان هذا الحق ، وقد توعده الله الظلمة بالعذاب الشديد يوم القيامة ، قال الله سبحانه وتعالى : « ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب » وقال : « ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار » وقال : « ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسهم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون » .

وفي الحديث الشريف : « اتقوا الظلم ، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة » .

شهادة الزور :

قال الله سبحانه وتعالى : « فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور » وقال : « والذين لا يشهدون الزور » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ قلنا ، بلى يا رسول الله ، قال : الإشراف بالله ، وعقوق الوالدين - وكان متكئا فجلس وقال - ألا وقول الزور ، وما زال يكررها حتى قلنا : ليتك سكت .

المكر السيئ :

قال سبحانه وتعالى : « والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور » وقال : « ولا يحق المكر السيئ إلا بأهله » وقال : « أقامن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون »

وقال صلى الله عليه وسلم : « إياك ومكر السيئ ، فإنه لا يحق المكر السيئ إلا بأهله ، ولهم من الله طالب » .

الكبر :

الكبر مرض خطير من أمراض القلوب ، قال الله سبحانه وتعالى « إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه » .

فإذا ظهر الكبر على جوارح الإنسان مثل تصغير الخد للناس ، والاختيال في المشي كان تكبرا .

والتكبر يستعظم نفسه ، ويستحققر غيره ، ويستطيل على الناس ، ويُدلّ عليهم بما أعطاه الله من نعم لا يحسن شكرها .

وهو من أشد الصفات مققا ، تجلب ذم الناس وسخطهم ، فضلا عن أنه منازعة لله في كبريائه وسموه ، فالله وحده هو المستحق للعظمة والكبرياء ، وفي الحديث القدسي عن الله تعالى : « العظمة إزارى ، والكبرياء ردائى ، فمن نازعنى فيها قصمته »

وقال صلى الله عليه وسلم : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة خردل من كبر » .

ويكثر التكبر بين أصحاب المال والجاه والمناصب - وكلها أشياء موقوتة زائلة - وينبغى على من رزقه الله بشئ منها أن يؤدي حقها في وجوب شكران الله عليها ، لافى البغى والتكبر والتجبر .

اتباع الهوى :

ومعناه انقياد الإنسان لغرائزه البهيمية وشهواته وأغراضه ، وقد ذم الله سبحانه وتعالى من يتبع هواه فقال سبحانه وتعالى : « ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه ، فثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث » وقال : « ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله » وقال : « أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ، وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ، فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون » .

والذين يجاهدون أنفسهم الأمانة بالسوء ، ويقاومون الهوى هم المؤمنون الصادقون في دعوى الإيمان « فأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى . فإن الجنة هي المأوى » .

التقليد الأعمى :

الإسلام يحترم العقل ، ويحترم التفكير الحر البناء ، ولقد نعى الله على المشركين والكافرين تمسكهم بالشرك والكفر تقليدا لآبائهم ، فكانوا يقولون عن الأصنام وجدنا آباءنا لها عابدين ، وإذا جاءهم النبي أو الرسول بأمر من عند الله قالوا : ماسمعنا بهذا في آباءنا الأولين ، وكما قلدوا آباءهم في مجال العقيدة الفاسدة قلدوهم أيضا في عاداتهم الفاسدة « وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا » .

وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد نهى عن تقليد الآباء في عقائدهم الفاسدة ونقائصهم الخلقية ، أليس عجبا من العجب حالنا نحن المسلمين اليوم ، إذ أصبحنا كالقردة نقلد الأوربيين والأجانب تقليدا أعمى ، لتمييز بين صالح ، وفاسد ، وبين غث وثنين ، بل نحن نقلدهم في مبادئهم ومفاسدهم ، ولانقلدهم في العمل وتقديسه ، وفي النظام ، وفي النظافة ، مع أن هذه المبادئ من صميم ديننا وعقيدتنا .

انظر حولك ، أيجوز للمسلم أن يلهو في ملاعب اللهو والفساد ، وأن يراقص النساء ويشرب الخمر؟!

أيسوغ للمرأة المسلمة أن تطرح ثياب الحشمة والعفة ، وأن تتهتك وتتبرج في الشوارع والطرق؟!

أيسوغ لوسائل الإعلام عندنا أن تنشر الإثم والانحلال باسم الحضارة والتقدم والعصرية ومسيرة الفن؟!

ومن عجب أن يدعى من يفعل هذا عصريا تقدما !
وأن يرمى المحافظون على الخلق والدين بالترمت والجمود والتقليد !!!

نماذج من الفضائل

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » والأصل في الخُلُق الحسن أن يتخلى الإنسان عن الرذائل ، وأن يتحلى بالفضائل ، والفضائل تتداخل وتشابك ، ويجمعها جميعا الخلق الحسن يقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « أثقل ما يوضع في الميزان الخلق الحسن » ويقول : « إن أحبكم إليّ وأقربكم مني مجالس يوم القيامة ، أحاسنكم أخلاقا ، الموطأون أكنافا ، الذين يألفون ويؤلفون » وقال : « إن من أخلاق المؤمن ، قوة في دين ، وحزما في لين ، وإيمانا في يقين ، وحرصا في علم ، وشفقة في مقعة ، وحلما في علم ، وقصدا في غنى ، وتجملا في فاقة ، وتحرجا عن طمع ، وكسبا في حلال ، وبراً في استقامة ، ونشاطا في هدى ، ونهبا عن شهوة ، ورحمة للمجهود » .

وقالت السيدة عائشة رضی الله عنها :

مكارم الأخلاق عشرة ، صدق الحديث ، وصدق اللسان ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، والمكافأة بالصنيع ، وبذل المعروف ،

وحفظ الدم للجار ، وحفظ الدمام للصاحب ، وقرى الضيف ،
ورأسهن الحياء .

وفي رأينا أن مكارم الأخلاق كثيرة لا يمكن حصرها أو الإحاطة
بها ، فكل عمل طيب مكرمة وفضيلة ، ولكننا سنذكر نماذج من
أخلاق الإسلام وفضائل الإسلام .

الصدق :

وهو أن يخبر الإنسان بما يعتقد أنه الحق ، وهو من أهم الفضائل
التي يسعد بها المجتمع حيث تعم الثقة بين الناس ، وتتوطد أواصر
التقارب والتآلف ، ولاخير في مجتمع يسود فيه الكذب ، وتفقد فيه
الثقة .

يقول الله تبارك وتعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع
الصادقين » ويقول : « ليجزى الله الصادقين بصدقهم » .

ويقول : « فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم » .

ويقول عليه الصلاة والسلام : « إن الصدق يهدي إلى البر ،

وإن البر يهدي إلى الجنة ، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله
صديقا ، وإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى
النار ، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا » .

الأمانة :

يقول الله سبحانه وتعالى : « فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي
أؤتمن أمانته وليتق الله ربه » ويقول : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات
إلى أهلها » .

ويقول عز وجل : « إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض
والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما
جهولا » .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « أد الأمانة إلى من ائتمنك
ولا تخن من خانك » .

والأمانة نوعان :

فمنها ما هو حق من حقوق الله عز وجل على عباده كالصلاة
والزكاة والصيام والكفارات والنذور .

ومنها ما هو حق من حقوق العباد كالودائع وغير ذلك مما يؤتمن
عليه من غير شهود ولايئة .

وضياع الأمانة علامة من علامات الساعة كما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم .

والعدل نوعان :

عدل الناس فيما بينهم ، وهو أداء كل ذى حق حقه .

وعدل الحاكم وهو تحقيق المساواة بين الناس فى الحقوق والواجبات والحكم وسن القوانين وتطبيقها ، وعدم التحيز لفئة أو طبقة على حساب المجموع .

والمجتمع العادل ، هو الذى تتكافأ فيه الفرص أمام الجميع ، فيتقدم المجتمع ويرقى ويزدهر بالعدل ، قال الله سبحانه وتعالى : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان » وقال : « وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » وقال : « اعدلوا هو أقرب للتقوى » وقال : « وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى » وقال : « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا » فأمرنا سبحانه بالعدل وتحقيقه وإقامته دون تحيز لقريب ، أو وقوف ضد عدو .

وقد ثبت فى الصحيحين عن النعمان بن بشير قال : نحلنى أبى نحلا فقالت أمى عمرة بنت ربيعة : لا أرضى حتى تشهد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاءه ليشهده على صدقتى ، فقال : أكلّ ولدك نحلث مثله ، قال : لا ، فقال صلى الله عليه وسلم : اتقوا الله واعدلوا فى أولادكم . وقال : لا أشهد على جور .

وقال صلى الله عليه وسلم : « إن المقسطين عند الله على منابر من نور : الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولّوا » .

العفة :

ومعنى العفة الاعتدال فى الميل إلى اللذات والخضوع لحكم العقل ، لأن التهاك على اللذة يفقد الإنسان السيطرة على ضبط نفسه ، فيصبح أسير شهوته ، وكلما نال شهوة مال إلى غيرها ، ومن كان على هذه الحال لا يرجى نفعه ، ولا يرجى صلاحه فينقلب فاجرا عريدا إن كانت شهوته إلى الجنس ، وينقلب كلبا مسعورا إن كانت شهوته إلى المال ، وينقلب طاغية جبارا إن كانت شهوته إلى الحكم والتحكم والسلطان .

قال الله تعالى : « وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله » وقال عن الفقراء عفيفى النفس « يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف » وقال صلى الله عليه وسلم : « من يستعفف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله » .

الاستقامة :

قال الله تعالى : « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون . نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم

فيها ماتدعون» وقال : « فاستقم كما أمرت » وقال : « وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً » .

وروى أن رجلاً سأل رسول الله فقال له : مرني بأمر في الإسلام لا أسأل عنه أحداً بعدك ، فقال له الرسول : قل آمنت بالله ثم استقم » .

الإخلاص :

قال الله تعالى : « قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين » وقال : « ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون »

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ، فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه » .

الرحمة :

زعم بعض المفكرين من الفلاسفة أن الرحمة تتعارض مع قانون الطبيعة الذي يقول ببقاء الأقوى والأصلح ، وهذه فلسفة مادية إلحادية تنادى بمبدأ القوة وسحق الضعفاء ، وهذا من ضلال العقل البشري حينما يركن إلى نفسه ، ويعطى ظهره للرسالات السماوية ونداءاتها في وجوب التراحم والبر والعطف .

قال تعالى : « وتواصوا بالصبر وتواصوا بالرحمة » وقال صلى الله عليه وسلم : « لا يرحم الله من لم يرحم الناس » .

الحلم والعفو :

قال الله سبحانه وتعالى : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » وقال : « فمن عفا وأصلح فأجره على الله » .

ومن أعظم منازل الحلم الإحسان إلى المسيء ، وهي منزلة لا ينالها إلا ذو حظ عظيم ، ومن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم : « اللهم أغنني بالعلم ، وزيني بالحلم ، وأكرمني بالتقوى ، وجملني بالعافية » .
الصبر :

قال الله سبحانه وتعالى : « ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين » وقال : « والله مع الصابرين » وقال : « وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « الصبر ضياء » وقال : « من يتصبر يصبره الله ، وما أعطى أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر » وقال : « عجباً لأمر المؤمن ، إن أمره كله خير ، وليس ذلك لأحد إلا لمؤمن ، إن أصابته سراء شكر ، وإن أصابته ضراء صبر »

الكرم والسخاء :

قال الله تعالى : « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » وقال :

« يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم وما أخرجنا لكم من الأرض » وقال : صلى الله عليه وسلم : « السخاء شجرة من أشجار الجنة ، أغصانها متدلية إلى الأرض ، فمن أخذ بغصن منها قاده ذلك الغصن إلى الجنة » وقال : « إن الله جواد يحب الجواد ، ويحب مكارم الأخلاق ويكره سفاسفها » .

وأعلى مراتب السخاء والجود ، أن تسخو بالمال مع حاجتك إليه ، وقد مدح الله الأنصار الذين اقتسموا أموالهم مع إخوانهم المهاجرين فقال في حقهم : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

التقوى :

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته » وقال : « فاتقوا الله ما استطعتم » وقال : « وتزودوا فإن خير الزاد التقوى » وقال « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب » وقال : « ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتقوا الدنيا ، واتقوا النساء ، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء » .

ومن دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى » .

التوكل على الله :

قال الله تعالى : « وتوكل على الحى الذى لا يموت » وقال : « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » وقال : « الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم » .

وعن عمر رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خماصا وتروح بطانا » .

وعن أنس رضى الله عنه قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قال إذا خرج من بيته ، بسم الله ، توكلت على الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، يقال له : هديت وكفيت ووقيت ، وتنحى عنه الشيطان » .

التواضع :

قال الله تعالى : « واخفض جناحك للمؤمنين » وقال : « فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى » .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مانقت صدقة من مال ، وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا ، وماتواضع أحد لله إلا رفعه الله » .

ومعناه خلق يبعث على ترك القبيح ، ويمنع من التقصير في حق ذى الحق . عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة ، فأفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق ، والحياة شعبة من الإيمان » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « الحياة كله خير » .

وعن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها ، فإذا رأى شيئا يكرهه عرفناه في وجهه .

القول السديد :

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقلوا قولا سديدا . يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه » .

بر الوالدين :

قد رأيت أن كل الأديان أوصت ببر الوالدين والإحسان إليهما وإكرامهما ، وتريدك هنا بيانا ، فإن بعض الأبناء العققة في هذا

الزمان يعتدون على الآباء والأمهات ، وبلغ العقوق إلى حد الضرب والقتل ، والعياذ بالله .

قال تعالى : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا » وقال : « ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك » .

وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « رغم أنف ، ثم رغم أنف ، ثم رغم أنف من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كلاهما فلم يدخل الجنة » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « بروا آباءكم تبركم أبناءكم » .

صلة الرحم :

قال الله تعالى : « واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام »

وقال : « وبالوالدين إحسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت إيمانكم » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الرحم معلقة بالعرش تقول : من وصلني وصله الله ، ومن قطعني قطعه الله »

وعن أبي هريرة أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم : إن لى قرابة أصلهم ويقطعوننى ، وأحسن إليهم ويسيئون إلى ، وأحلم عنهم

ويجهلون علىّ . فقال : لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم الملّ ،
ولا يزال معك من الله ظهير عليهم »

التعاون :

قال الله تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى ، وقال صلى الله عليه وسلم : « من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه » .

البشاشة :

قال صلى الله عليه وسلم : « لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق » .

وقال : « الكلمة الطيبة صدقة » .

وقال : « مامن مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يفترقا »

وقال بعض الشعراء :

بنىّ إن البر شئ هين وجهه بشوش وكلام لين
أدب المجالس :

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في

المجالس فافسحوا يفسح الله لكم » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لا يقيم أحدكم رجلا من مجلسه ثم يجلس فيه ، ولكن توسعوا وتفسحوا » .

أدب الاستئذان :

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون . فإن لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم » .

وقال : « وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنما جعل الاستئذان من أجل البصر » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الاستئذان ثلاث ، فإن أذن لك ، وإلا فارجع » .

السماحة في البيع والشراء :

عن جابر رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « رحم الله رجلا سمحا إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى » .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كان رجل يداين الناس ، وكان يقول لفتاه : إذا أتيت معسرا فتجاوز عنه ، لعل الله أن يتجاوز عنا ، فلقى الله فتجاوز عنه . »

رد التحية :

قال الله تعالى : « وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها . »

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « والذي نفسى بيده ، لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أولا أدلكم على أمر إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم . »

الحب في الله :

قال الله سبحانه وتعالى : « والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم »

وعن أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان ، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكره أن يعود إلى الكفر بعد أن أنقذه الله منه ، كما يكره أن يقذف في النار . » وقال صلى الله عليه وسلم : « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا

ظله ، إمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله عز وجل ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعتة امرأة ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شاله ماتنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه . »

- تم بحمد الله -

سوهاج في يوم الأربعاء

٢٤ من شعبان سنة ١٤٠٧هـ

٢٢ من إبريل سنة ١٩٨٧م

الفهرس

الصفحة

٥	مقدمة
٩	مفاهيم
١٧	الأخلاق فى التوراة
٢٩	الأخلاق فى الانجيل
٤١	الإسلام ودعائم الأخلاق
٥٥	الأخلاق فى القرآن
٥٩	مغريات الحياة
٦٥	نماذج من الرذائل
٧٩	نماذج من الفضائل

رقم الإصدار : ٨٧/٨٤٠٦

الترقيم الدولى : ٨ - ١٥٦ - ١٤٨ - ٩٧٧

الاحـراق

الحديث عن الاخلاق في هذا العصر حديث
محض يشق على النفس . ذلك ان كثيرا من
مشكلاتنا الاجتماعية الراهنة تعود في النهاية بعد
خليلها إلى الأزمة الاخلاقية التي يعانيها عالمنا
المعاصر الذي تسود فيه اخلاق الاثرة والانانية
وحب الذات والجور وراء المادة والمكاسب بأى
طريقة او وسيلة مشروعة كانت او غير مشروعة .

ان الانسان نفخة من روح الله ، ولم يخلقه الله
في هذه الحياة عبثا . وما دامت فطرته مهية لإرادة
الحير وإرادة الشر . فإن الدين الذى انزل الله يضع
بين يديه المبادئ الاخلاقية التى تعدده عن الشر
وتهديد إلى الخير